المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 30-03-2007 العـــدد : 2373
الصفحـات : 19 المسلسل : 133

المملكة.. إنسانية الخصال، وتفكير بالمستقبل العربي

علي الخشيبان *

بكل صدق مع ذاتي شعرت بالفخر وأنا أتذكر سمو الأمير خالد الفيصل وهو يردد "ارفع راسك أنت سعودي" هذا الشعور انتابني وأنا أتابع أحداث مؤتمر القمة العربية الذي يجمع العرب ليقولوا شيئا لمستقبل شعوبهم التي طال عليها الانتظار. حماس خادم الحرمين الشريفين حفظه الله جعلنا نحن السعوديين نشعر بالفخر بهذا الإنسان الذي تبتي الإنسانية منهجا له فكانت (مملكة الإنسانية) عنواناً لنا جميعا وسمه لنا نحن السعوديين رفعنا بها رؤوسنا أمام الآخرين.

هذا الوطن ليس غريبا على الإنسانية فكل مواقفه كذلك، الإنسانية لدينا شعور بالآخرين وتقديم العون لهم بكل ما تستطيع من بناء لفكرهم وتخطيط من أجلهم وتسهيل لمهامهم وتحقيق لأهدافهم. في مملكة الإنسانية اعتدنا ومنذ عهد المؤسس أن لا تتغير مبادئنا ولا تتبدل مواقفنا وأصواتنا حول كل قضية عربية وخصوصا القضية الفلسطينية فلم يقل أحد إننا غيرنا من مواقفنا الثابتة لمصالح خاصة أو أهداف أخرى، في المملكة كل طفل وطفلة وشاب وشابة بل كل أفراد المجتمع يشعرون بحجم اهتمام هذا الوطن بالقضية الفلسطينية بل لم تغب عنهم في كل أركان المجتمع. كنا قبل أيام نراقب بفخر دعوة خادم الحرمين الشريفين لإخوتنا الفلسطينيين لدعم موقفهم وتوحيد الصفوف على أرض مكة الطاهرة وهاهي المملكة تعود مرة أخرى اليوم لأخوة العرب جميعا للنظر في القضايا التي تهم إنسان هذا الوطن العربي من شرقه إلى غربه عبر القمة العربية.

الرياض نجحت القيادة السعودية في جعلها مركزا عربيا ومنارا للإخوة العرب، وهاهي الرياض وبجهود أميرها سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز تعكس سمة من سمات هذا الوطن المعطاء بتنظيم هذا المؤتمر وإنجاح فعالياته الذي جعلنا نحن السعوديين نفخر مرة أخرى بأننا من أبناء هذا الوطن وأفراد في مجتمعه. لقد أدركنا وعلى مر الزمن كيف تسعى قيادتنا إلى القول إن الحكمة ليست في اتخاذ المواقف المختلفة فالحكمة تبدو دائما في تحقيق المصالح الحقيقية التي تخدم أبناء الأمة العربية على اختلاف مواقعهم. امتنا العربية عانت طويلا من أزمات كانت بسبب مواقف متعنتة وغير محسوبة لذلك دفعت الشعوب العربية ثمنا لمواقف جاءت نتائجها بطرق سلبية. في هذه القمة العربية تبدو الصورة متفائلة فخادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين بذلوا جهودا جبارة على المستوى السياسي من أجل إنجاح هذه القمة التي نجحت بطريقة عملها وبطرحها الكثير من الهموم العربية التي تجاوزت القضايا السياسة التي كانت هي محور القضايا التي كانت تدار في اجتماعات القمة العربية. الأمة العربية ومجتمعاتها لها متطلبات تنموية كثيرة فهي ليست جيوشا هدفها التفكير فقط كيف تسلح نفسها لتكون في حالة حرب دائمة تلك الحالة التي مللنا وجودنا فيها كعرب. لقد قضت المجتمعات العربية زمنا طويلا وهي جاثمة على التفكير فقط كيف تحارب ومن تحارب..! ومع أن حروبنا العربية كلها لم تكن موفقة إلا أننا عشنا الكثير منها وهي تتكرر بنفس الطريقة والأسلوب ونفس النتيجة. لقد حان الوقت للبحث عن منهجية سياسية توقف هذا التشنج الذي تشعر به كشعوب عربية لم تعد تعرف سوى أن الحروب هي مصيرها القادم. إننا نحن العرب يجب أن نعتبر قمة الرياض نقطة تحول نحو التفكير في الإنسان العربي الذي يحتاج الكثير من أجل إعادة تأهيله لزمن الصلح والسلام فهو في هذا الزمن لا يختلف عن الجندي الذي يعود من معركة قضى فيها جل عمره.

لقد حان الوقت فالإنسان العربي بحاجة إلى مشروعات تعليمية استراتيجية بهدف تحويل هذا الإنسان إلى قوة عالمية لديها من المهارات الفكرية والسلوكية ما يجعلها تشعر بقيمتها الإنسانية ...

إن المبادرة العربية التي تطرح في هذا المؤتمر هي خطوة حقيقية لتحقيق الأمن الاجتماعي والفكري لهذه الشعوب العربية، فنحن بحاجة إلى صُلح في المنطقة يمنحنا الأجواء الهادئة التي تتيح لنا فرصة بناء الإنسان العربي من جديد بعيدا عن شعور محتمل ودائم للمواجهة التي نحن نعرف نتائجها عن قرب. إن العرب بحاجة إلى إيقاف نزفهم الفكري في البحث عن حلول تبدو مستحيلة لقضاياهم فلا زالت الشعوب العربية تفكر بطرق سلبية وبمنهجية بعيدة عن الواقعية بل هي بانتظار معركة فاصلة تلك المعركة التي أجزم أنها لن تكون بمثل هذه الشعوب الموجودة الآن، كما أنها معركة سوف تحدث في المستقبل وتتطلب علامات ومؤشرات لم تحدث حتى الآن.

أمتنا العربية بحاجة إلى أن تكون مؤتمراتها القادمة تحولاً حقيقياً يخدم مصالح تلك الشعوب التي عانت الكثير من الأزمات والتحولات التي كان من الممكن أن تُحل ويخلق باباها منذ أمد طويل. الحكمة مرة أخرى اكتشاف لمصلحة الأمة بطريقة تجعل هذه الأمة تحقق أهدافها بتنمية الشعوب العربية ودعم أبنيتها الاجتماعية. المواطن العربي يعاني من أزمات التعليم والبطالة وكثير من المشكلات الصحية بجانب سلسلة طويلة من المعوقات التي لا يمكن حصرها هنا، كل هذا يحدث بينما يملك هذا العالم الكثير من الموارد الطبيعية التي تجعله قادرا على بناء تلك المجتمعات بطرق متطورة. لقد حان الوقت لوقف هذا النزف العربي والعودة إلى تنمية الشعوب وتحقيق السلام والانفتاح على العالم وقطع الطريق على التيارات السياسية الناشئة تحت رماد المجتمع العربي والتي تخاطبه مرة باسم الدين ومرة باسم الاستعمار وأسماء أخرى اعتدنا على سماعها على مر العقود الماضية. لقد حان الوقت وبدأت المؤشرات لتحول يخدم مصلحة

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 30-03-2007 العـــدد : 2373
الصفحـات : 19 المسلسل : 133

الإنسان العربي المحتاج إلى تطوير في قدراته ومهاراته وإمكاناته الحقيقية فالإنسان العربي بحاجة إلى مشروعات تعليمية استراتيجية بهدف تحويل هذا الإنسان إلى قوة عالمية لديها من المهارات الفكرية والسلوكية ما يجعلها تشعر بقيمتها الإنسانية. التعليم هو مفتاح الباب الخارجي للتطور والنماء وإذا امتلكت الأمة العربية هذا المفتاح الهام فسوف تمتلك البقية من مقومات البناء بشكل تلقائي، التعليم العربي عليه أن يتجاوز التقليدية في طرقه ووسائله وهذا مطلب أساسي لكي تتجاوز السياسة العربية تقليديتها في مناقشة القضايا العربية. لقد فقد العربي ثقته في كونه إنساناً قادراً على تشكيل نفسه بطريقة تتوافق مع المعطيات الحضارية العالمية. إن العيش على أطراف الحضارة العالمية والتعامل معها وقبول منتجاتها والاستفادة من مقترحاتها ومن ثم السير على طريقها يعتبر انتصارا حقيقيا للأمة التي تبحث لشعوبها عن مخرج من تخلفها. أخطر قضية تعاني منها أمتنا العربية أن وجد فيها من المظاهر التي جعلت التراث والعقيدة أداتين لتكريس العداء للحضارات الأخرى وهذا جزء من أزمة الإنسان العربي الأزلية، لقد أصبحت الحاجة إلى إعادة بناء الفكر العربي أساسية حيث لا مجال لتجاهل القدرات العربية.

إن المنهجية التي تضع الإنسان العربي في مقدمة الاهتمامات منهجية عليها تجاوز القضية ببعدها السياسي إلى القضية ببعدها الاجتماعي حيث الإنسان محور التطور والرقي. قطع الطريق على المزيد من محاولات التقليل من شأن الأمة العربية أمر مهم، فما يعانيه الإنسان العربي من أحاسيس سلبية تجاه أمته سببه الرئيس تلك الأزمات المتلاحقة التي كان من الممكن إيجاد الحلول لها بطرق مناسبة منذ أمد بعيد.

إن مسؤولية الدول العربية ومنها بالتأكيد المملكة العربية السعودية يجب أن تتغير منذ هذه القمة وما بعدها فطرح قضية العربي كإنسان أهم قضية سوف ترتبط بمبادرة السلام العربية التي نتوقع أن يتم التركيز عليها وتفعيل خطواتها بشكل سريع بل يجب أن تقوم عمليات كبرى لتهيئة هذا الإنسان لقبول محتويات هذه المبادرة، العرب بحاجة إلى البدء في هذه المبادرة بشكل حقيقي وخاصة الدول المعتدلة التي سوف تخدم هذه المبادرة بشكل إيجابي في حال إدراك الجميع أن القضية الفلسطينية تحتاج في هذا الوقت إلى كثير من الحكمة في التعاطي مع القضية فلابد من حلول سريعة وجبارة تتجاوز المرجفين والمتراجعين عن الإقدام نحو التطور ولاستقرار لعالمنا العربي. إن أصحاب الأفكار الرافضة لتحقيق السلام في القضية الفلسطينية يجب أن يتجاوزهم المجتمع العربي الممتلئ بالجروح والأزمات نتيجة عدم التقدم في حل قضيته الأساسية، فنحن بحاجة إلى حل الأزمة وخاصة قضية فلسطين لتتذوق شعوب العرب طعم السلام الحقيقي وتلتفت إلى بناء مستقبلها والتفكير بأجيالها القادمة.

* كاتب وأكاديمي سعودي
alik@alwatan.com.sa